

تيمة المحذور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة- رواية "عطر الخطيئة" لأمين الزاوي
أنموذجاThe Theme of the Religious Prohibition in the Contemporary Algerian
Novel - Amin Al-Zawi's "Perfume of Sin" as a Model

عقيلته بالي محجوبي

جامعة سطيف 02 (الجزائر)

bm.akila@yahoo.fr

زيد مراد *

جامعة سطيف 02 (الجزائر)

za.mrad@univ-setif2.dz

مخبر مناهج النقد وتحليل الخطاب

تاريخ القبول: 2024/04/23

تاريخ الاستلام: 2023/03/08

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على كيفية اشتغال المحذور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة، من خلال مقارنة رواية "عطر الخطيئة" لأمين الزاوي التي وجدناها خطابا ينبش في المحذور الديني ويتمرد عليه، بل ويتجاوز إلى حدود اللامعقول، فيكشف عن المخفي، ويفضح المستور، ويتخطى المحرمات، ويتحدث بخصوص المسكوت عنه، ويواجه المقدس بالمدنس، وعليه يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الإشكالات التالية:

- كيف تجلّى المحذور الديني في رواية عطر الخطيئة؟
- هل نجح الزاوي في اختراقه للمحذور الديني في الرواية؟ وما الهدف من ذلك؟
- ما هي أهم العناصر التي ارتكز عليها في اختراقه للمقدس الديني؟

الكلمات المفتاحية: المحذور، الدين، الرواية الجزائرية، المقدس، المدنس

Abstract:

This study aims to shed the light on how does religion prohibition and taboo work in the contemporary algerian novel. Throught the novel of Amin Zawi's the sin in which he digs on the religious taboo and rebel against it so he reveals the hidden and transcends the taboos. So this research aims to answer the following questions:

- How was the presumptive taboo seen in the novel the perfume of sin?
- Did he Amin Zaoui succeed in the breaking religious taboo ?
- What are the important factors that he based on to break the religious sanctuare ?

Key Words: The taboo- religion-the Algerian novel- Holy- Profane

. مقدمة:

يكاد الفن الروائي أن يكون الاشتغال المعرفي الوحيد - بين الإشتغالات الأدبية- الذي طاله الارتقاء المتواصل بلا انقطاع، حيث يتفق النقاد ومنظرو الدراسات الثقافية ودارسو تأريخ الأفكار على أن الرواية هي أحد أهم الابتكارات الثقافية التي جاءت بعد عصر التنوير الأوروبي. ولعل الرواية ممارسة تجابه العالم وتضعه موضع البحث عن تعقيداته وصياغة النقد الجذري لأنساق الحياة والسلطة وتشخيصاتها، فهي مساحة إبداعية واسعة النطاق، تقطنها شخصيات وذوات متعددة ومتفاوتة، تغمرها فضاءات زمانية ومكانية متغيرة، تحركها وتحكمها آليات قصصية متشعبة ومتفرعة. وقد تعددت زوايا الكتابة في الرواية من حيث هي جنس أدبي قائم بذاته له قوانينه وقوابله التي لم تعرف الثبات والاستقرار طيلة فترة تواجدها، ولسنا نقصد هنا المدارس الأدبية المواكبة لفن الرواية، وإنما المحطات التاريخية المرافقة لهذا الفن الأدبي عبر العصور والأزمنة، بما حملته تلك التحديدات التاريخية من تقارب وتباعد في أساليب الكتابة الروائية وطرائقها.

استطاعت الرواية الجزائرية أن تقفز قفزات واسعة في عمرها القصير الذي لا يتجاوز نصف قرن، وأن تسير بخطى ثابتة نحو النضج، وتحتل مكانة مرموقة بين الأجناس الأدبية الأخرى، حيث ارتبطت بالمجتمع ارتباطا وثيقا، فالروائي مهما جنح بخياله فإن إبداعه لا يخرج عن الواقع، لذلك كانت الرواية من أقدر الأجناس الأدبية على استيعاب قضايا المجتمع. وتنزع إضافة إلى ذلك، "إلى البحث في حلول مآزق العالم، وهذا دأب الرواية العظيمة التي تتنوع معالجتها وحلولها، وتنبع عظمة الرواية من قدرتها على عرض مجموعة من المآزق الكبرى ومعالجتها معالجة توازيها بمستواها الإشكالي والفني وهذا يعني أن منزع الرواية الفكري والأيدولوجي هو المنزع الأساس في العملية الإبداعية، وهو الهدف الأسمى للإبداع"¹

فمثلما استطاعت الرواية العربية أن تفك الحصار عن موضوعاتها، استطاعت الرواية الجزائرية هي الأخرى أن تدخل في نطاقات مسكوت عنها أحدثت أثرا بالغا وردة فعل عنيفة، فيها من القبول كما فيها من الرفض، فأعلنت تمردها وثورتها على الأوضاع السائدة وفرضت الصوت ورفعت الستار على الكثير من الطابوهات السائدة في المجتمع، وحاولت اختراقها من أجل إعطاء دلالات أكثر جرأة ومباشرة وعمقا، فكشفت عن رغبات الجسد، وفضحت الممارسات السياسية الفاسدة، وعبرت عن الاعتقاد الديني بحرية مطلقة، فصارت الكتابة عن الدين محورا مركزيا وتيممة ملححة في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر بفعل متغيرات الواقع التي فرضت على الكاتب الاستجابة لها، وجاء تناول الرواية الجزائرية للخطاب الديني تناولا إشكاليا تجاوز مجرد كونه منظومة فكرية وعقائدية إلى تشكيل إيديولوجي انزاح عن دلالاته الروحية الأصيلة، فخاض الكثير من الروائيين وعلى رأسهم أمين الزاوي في تيممة الدين لإزاحة التضليل عن المقدس، فتوغلوا في المحظور الديني، وهي القضية التي أثارت فضول الأفلام النقدية للكشف عنها، وتبيان خصوصيتها المتسمة بها.

لاشك أن الحديث عن المحظور الديني هو بمثابة تجسيد لفكرة المسكوت عنه، المضمهر الخفي الذي يتحاشى المثقف العربي بالتحديد الحديث عنه في سياقه الواقعي الحقيقي، ورغبة منه في تجاوز تلك المصادر لكتاباته أو نظرة المجتمع والسلطة له، والمشكلة الأعظم في كيفية تصور هذا المحظور في ظل العقلية العربية التي تميل إلى الكتم والتستر وتعدد

الإيديولوجيات الفكرية والدينية من جهة أخرى، حيث يشير ياسين بوعلي في كتابه الثالث المحرم إلى الارتباك الذي يحدثه الحديث عن المحظورات حيث يقول: "في مجتمعنا محرمات لا يجوز التحدث عنها نقدياً، إلا مع الأصحاب وفي شكل مزاح، فلا يجوز دراستها تحت طائلة عدم النشر أو مصادرة الكتاب، الجريدة، المجلة النشرة، أو تحت طائلة العقوبة القضائية، وفي كل الأحوال نبذ الناس (المجتمع) للكاتب ومضايقته في شتى المجالات"²

والممتنع للتراث العربي، يصادف العديد من الكتاب والمفكرين الذين وقعوا في المحذور على تعدد أنواعه، بل والبعض منهم تجاوز الحدود في كتاباته، فقد "أنتج الخطاب العربي مصنفات رائدة من قبل فقهاء وأئمة مرموقين عن الجنس والحب تعتبر كمراجع كبرى في مجال العلاقة الجنسية، والمحبة والعشق"³ نذكر منهم كتاب نزهة الألباب في مالا يوجد في كتاب لشهاب أحمد بن يوسف التيفاشي فهو كتاب مخصص لأنواع الحب الممنوعة، وكتاب تحفة العروس وروضة النفوس لمحمد المغربي التيجاني، إلى جانب المؤلفات التي كتبها السيوطي عن الجنس.

وإذا عدنا إلى رواية عطر الخطيئة لأمين الزاوي وجدناها خطاباً يخترق المحذور الديني، بل ويحدث خلخلة في السائد والمألوف، فجاءت "بلغة أقرب إلى الفجور منها إلى العقل، وأقرب إلى البذاءة التصويرية منها الاحتشام"⁴ فقد أُعطي الدين صورة سلبية عمّت الكثير من الأعمال الأدبية الجزائرية — وإن كان اتخاذ السلطة المهيمنة الدين كذريعة لتبرير ممارستها — سبب توجه الكتاب ومنهم أمين الزاوي نحو رفض الدين ومن يمثله، فإن ذلك بالتأكيد ليس سبباً وحيداً بل تُضاف له أسباب أخرى، منها تأثير الكتاب الروائيين الجزائريين بالكتاب الأوروبيين الذين يعادون رجال الدين نتيجة ارتباطهم بالبرجوازية التي رفضت كلياً "الزي الديني وخاصت معاركها على أرضية سياسية مكشوفة"⁵ وعليه فقد تعددت أشكال تناول تيمة الدين في الرواية الجزائرية، وتباينت زوايا النظر إليه وطرائق ملامسته النقدية لظاهرة إشكالية تبعث على المسألة في مرحلة تاريخية، أصبح فيها الخطاب الديني موضوع مجادلة، انطلاقاً من هذا التنظير، سنحاول الإجابة عن إشكاليات عديدة أهمها:

- كيف تجلّى المحذور الديني في رواية عطر الخطيئة؟

- هل نجح الزاوي في اختراقه للمحذور الديني في الرواية؟ وما الهدف من ذلك؟

- ماهي أهم العناصر التي ارتكز عليها في اختراقه للمقدس الديني؟

المحذور الديني: مقارنة مفاهيمية:

شاع في الفترة الراهنة وتربع على ميدان الدراسات الأدبية والنقدية مصطلحاً يبدو للوهلة الأولى أنه جديد، ألا وهو مصطلح "المحذور" وهي ليست بالكلمة الجديدة في دلالاتها، إلا أنها أصبحت متداولة في هذا المجال، خاصة فيما يدور منها حول الخطابات الروائية، وهذا ما دفعنا إلى الوقوف عند هذا المصطلح بغية تعريفه وتمييزه عن باقي المصطلحات التي يتداخل معها، خاصة وأن الساحة النقدية العربية تعج بالدراسات حول فضاءات المحذور في الرواية العربية وخرق الممنوع

في الفن والأدب، فقد لعبت الرواية العربية دورا أساسيا كفضاء تواصلية لمجموعة مواضيع محظورة، منها ما يتعلق بالسياسة، أو ما يتعلق بالجنس وما يمس الأعراف الدينية، وغير ذلك، فما معنى هذا المصطلح وما مفهومه؟

- المحظور لغة: يعني المنع وعدم الجواز، والمحظور ممنوع، "وكل شيء حيز بين شيئين"⁶ كما يعني الحجر وهو ضد الإباحة، حظره فهو محظور أي محرم، وحظر الشيء إذا منعه وهو الحجر⁷، والحظيرة: للماشية ونحوها تحبس فيها بسياج ونحوه في حال بينها وبين الخروج من الحظيرة لوجود مانع، وكل ما حاك بين كوبين شيء فقد حظره عليك⁸. وكلمة الحظر والمحظور تدور في معاني: المنع، عدم الجواز، المكروه، غير مستحب، محرم، محجوز، حجر...، وهي ألفاظ تشير إلى التقييد ورسم حدود، أو فسح المجال وفق ضوابط وقوانين أو قواعد لأسباب حسب الموقف والسياق، فالمحظور الذي يعني مكروها يختلف عن المحظور الذي يعني محرما، والمحظور لغة ما كان موجودا لكن غير متاح للاستعمال، أو غير جائز لتوفر الأسباب والأعذار المانعة، وتتفاوت درجة الحظر حسب الشيء والموقف والأسباب الناتجة عنه.

وقد أشار أبو هلال العسكري في التفريق بين المحظور والحرم من خلال درجة القبح؛ فالشيء يكون محظورا إذا نهى عنه ناه وإن كان حسنا؛ كفرض السلطان التعامل ببعض النقود أو الرعي في بعض الأماكن وإن لم يكن قبيحا، والحرام لا يكون إلا قبيحا، كل حرام محظور وليس كل محظور حراما، ويكون المحظور قبيحا إذا دلت الدلالة على أن من حظره لا يحظر إلا القبيح كالمحظور في الشريعة، وهو ما أعلم المكلف أو دل على قبحه، يقال أفعال البهائم محظورة وإن وصفت بالقبح، وقال أبو عبد الله الزبيري: الحرام يكون مؤبدا والمحظور قد يكون إلى غاية⁹

المحظور اصطلاحا: يطلق المحظور عادة على اللامساس أو الحرم، وقد عرفته الأستاذة لمى فائق جميل، وفق ما جاء في معاجم علم اللغة النظري فتقول: "جملة محظورة، بمعنى أنها جملة تسبب لقائلها حربا اجتماعية، وتواصل كلامها فتقول: إن كلمة اللامساس تطلق على كل ما هو مقدس، وتحرم لمسه أو الاقتراب منه لأسباب تتولد ضمن مفاهيم التقديس والإحراج والخوف"¹⁰، وحسب لمى فائق جميل يرتبط الحظر بأبعاد دينية واجتماعية وسياسية حيث تقول: "إن هذه الكلمات أو المفاهيم المحظورة مرجعها إلى ثلاثة أسباب أبرزها:

1- السبب الديني: بحكم مفهوم القدسية والتقديس.

2- السبب الاجتماعي: الحديث عن الجنس وما يصاحبه من حرج.

3- السبب السياسي: كون طبيعة البشر محايدة لفكر الحرية لارتباطها بالدوافع النفسية التي تدعو إلى التمرد والاشتمزاز وغيرها والمحظور موجود في كل المجتمعات البشرية على اختلافها"¹¹

أما النقاد المعاصرون، فقد وضعوا كلمة طابو كتعبير عن المحظور، حيث يعتبرون أن النص الأدبي الذي يتجاوز الطابو هو نص مخترق للأعراف الدينية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية، فهذا النص قد راهن على تجاوز الخطوط الحمراء التي لا ينبغي تجاوزها، وإنما الوقوف عندها وعدم اختراقها، لأن في كل الأحوال تبقى مسكوتا عنها¹² فالطابو هو الكلمة المحظورة وهو موضوع يتعلق بالحرمت خاصة في الجانب الديني والأخلاقي والاجتماعي.

مفهوم المحذور الديني:

يرتبط الدين بفكرة القداسة والتبجيل والاحترام، حيث يقول الدكتور كريم حسام الدين: "تعود ظاهرة المحرمات أو المحظورات أو المنوعات إلى طائفة من العادات والمعتقدات الدينية للجماعة اللغوية والفكرية، حيث تتضمن هذه الظاهرة فكرة القداسة، إذ كل ما هو مقدس يعتبر موضوعاً للتبجيل والاحترام"¹³ هذا يعني أن للدين خطوطاً حمراء لا يجب تجاوزها وتخطيها بحكم التشريع الذي لا يخضع للتغيير والعادات المتوارثة من جيل إلى جيل آخر، وبالتالي لا يمكن التعامل مع الدين بكل حرية وطلاقة، بل يجب مراعاة تلك الحدود وعدم اختراقها، كألفاظ الكفر، والتطاول على الله وأنبيائه، ناهيك عن الألفاظ التي تحمل في طياتها سمات الشرك بالله وسوء الأدب مع الخالق، أو مع نبيه، وكذلك الألفاظ غير الأخلاقية المنهى عن قولها والتي تسير في سياق سوء الأدب، مثل الكلام البذيء الفاحش، وغيرها من الصفات غير الأخلاقية.

إن تجلي الدين في الرواية كان عبر مستويين: الأول تمثل في تجلي الدين بكل عناصره من معتقدات دينية وأمثلة وأزمنة دينية وطقوس ورموز دينية وغيرها، أما المستوى الثاني يتمثل في تجلي المحذور الديني، حيث قام الروائيون بتحطيم واختراق هذا المحذور، وتجروؤوا على كل المقدسات الدينية وانتهكوا حرمتها، فخرجوا بذلك عن حدود السائد والمألوف، والمقصود بالمحذور الديني هو جملة ما حظره المشرع في القرآن الكريم، أو في بعض الديانات، سواء بشكل صريح أو ضمني، واتضحت معانيه من خلال كتب المفسرين والفقهاء، والأمر لا يرتبط بالدين الإسلامي فقط، لأن كل الديانات لها محظوراتها التي تمتع المساس بقداساتها وكل ما يتعلق بها من قريب أو من بعيد، بمعنى جملة الأمور التي يحرم انتهاكها، أو السخرية منها واختراق قداساتها، لأن هذه الأمور يرفضها المشرع وبمقتها المجتمع، هذا يعني أن اختراق المحذور الديني في الرواية يعد خروجاً عن السائد، لأن الدين يستحق القداسة والتبجيل والاحترام.

تجليات المحذور الديني في الرواية الجزائرية:

لاشك أن الدين قد شكّل ولا يزال يشكّل وعاءً تُستقى منه الأفكار والمواضيع، وحافزاً قوياً يستفز الكاتب للبحث فيه، لذلك اهتمت الرواية الجزائرية المعاصرة بالاشتغال عليه بمختلف مصادره ومشاربه وذلك بتوظيف نصوصه ومضامينه المختلفة، غير أن طريقة توظيفه قد اختلفت من روائي لآخر، فهناك من كان توظيف الدين في أعماله بمثابة نقداً واسعاً له وتدنيساً لقدسيته والسخرية منه، فحين نقرأ رواية "الإنكار" لرشيد بوجدر، نجد أن الدين مجرد خرافة أو أسطورة بدأ المجتمع في التفطن إليها والتخلي عنها، حيث يقول: "كان المؤذن يدعو المؤمنين إلى الصلاة بصوت ملؤه الفتور واللامبالاة، وواصل المارة مسيرتهم المعادية متخللين قوافل العربات اليدوية التي كانت تكتظ بها الأزقة الصغيرة بالحي السفلي من المدينة، غير آبهين لنداءات المؤذن المتكررة رغم ما كان يتخللها من تواعد خفيف لمن لا يستجيب لدعوة الله"¹⁴

وفي الرواية نفسها يستهزأ بوجدر بتعاليم الدين الإسلامي وشعائره المقدسة كالصوم، ساخراً منها ومن كل من يقوم بها من المسلمين، واصفاً إياهم بالتعساء، حيث يقول: "ترى هل ينم وجهي على أنني ممن يصومون رمضان؟ يا لكم

من تعساء يرثي لحالكهم، أنا لا أصوم إذن دمي لا يسيل"¹⁵ ولم يكتفِ بوجدرة في أعماله الروائية بخرق المقدس الديني من شعائر دينية فقط، بل تجاوز ذلك إلى التناول والتجرؤ على الخالق سبحانه وتعالى، وذلك حسب ما جاء في رواية "ألف وعام من الحنين" من استهتار واستهزاء بالله تعالى حيث يقول: "وهل يجديه نفعاً أن يفضي بذلك كله إلى هؤلاء الناس الذين استقر رأيهم على أن بلدتهم إنما هي قذارة أسقطها الله ذات يوم من أيام الضجر"¹⁶ وفي الرواية نفسها يتجرأ بوجدرة مرة أخرى على الله سبحانه وتعالى متجاوزاً بذلك كل الحدود والأسس الاجتماعية التي ولد فيها ونشأ عليها، حيث يقول: "وكانت تقول لمن يريد الإصغاء إليها سواء في الحمامات أو في حفلات الزواج أو في الجنازات أن الله نفسه قد بدأ يمارس الغش، لأنه لم يتمكن من حصر مخلوقاته داخل المساجد"¹⁷

ويتجلى المحظور الديني أيضاً في رواية مزاج مراهقة للكاتبة فضيلة الفاروق من خلال بطلتها لويضة التي ترفض ارتداء الحجاب وتعلن عصيانها ونبذها لهذا اللباس الشرعي الذي يحفظ للمرأة جسدها ومفاتها، فهي ترى أن الحجاب هو زي تنكري يقمع المرأة أنوثتها، حيث تقول: "إذ كنت أشعر أن السفر إلى الجامعة بذلك الزي التنكري يعني الموت، لهذا رفضت وبكيت..."¹⁸

وتضيف أيضاً: "وأذهب إلى الجامعة بجلباب ومنديل مثل جدتي.. انطلقت من قطعة القماش تلك التي لم تعد تعني فقط التنكر الذي يوهم الأعمام أنني أحمل معي سحني إلى الجامعة.. بتلك الكذبة التي أرتدي.. ما يزعجني هو أنني أرتديه خضوعاً لغرائزهم، دون أي إيمان به..."¹⁹ نلاحظ في هاذين المقطعين انتقاداً لاذعاً من قبل الكاتبة التي ترى أن ارتداء الحجاب ضعفاً ومهانة، بل وتنظر إليه على أنه مجرد قطعة قماش تخنقها ولا تؤمن بها، فهو في نظرها قيد على المرأة وكبح لحريتها، بالرغم من أن مسألة الحجاب قد فصل فيها القرآن وفرضه على كل مسلمة.

والأمر نفسه نجده في رواية "بوابة الذكريات" لآسيا جبار، التي تنظر للحجاب نظرة ساخرة، وتصف المرأة المسلمة التي ترتدي الحايك الإسلامي الذي كانت ترتديه المرأة الجزائرية في القديم بالشبح، يتجلى ذلك في حديث شخصية جميلة عن صديقتها فريدة حيث تقول: "ذلك أن هذا الأب باعتباره ضابطاً قد أبقى ابنته تحت نظام الشريعة الإسلامية وصرامة الانضباط العسكري في الوقت نفسه!... أجل، واصلت الثرارة وهي تتظاهر بمظهر الصديقة الحميمة لفريدة، يبدو أنه يتفقد شبح ابنته كل صباح حين تهم بالخروج"²⁰ يتبين لنا من خلال هذا المقطع أن المرأة المتحجبة - حسب الكاتبة - هي عبارة عن شبح، ومعروف أن الشبح يثير الخوف والرعب في نفوس الآخرين، فلم يتوقف الأمر عند هذا الحد وإنما تتجاوز ذلك إلى المبالغة والإفراط في السخرية، حيث تصبح المرأة المتحجبة بالحايك الإسلامي الجزائري شبحاً أعوراً، في إشارة إلى الطريقة التي كان معمولاً بها في ارتداء الحايك، حيث تتم تغطية كامل الوجه باستثناء عين واحدة تُترك لتتمكن المرأة من النظر من خلالها، تقول: "حتى طريقتها في التحجب بالإبقاء على عين واحدة تكاد لا ترى، كي تنير دربها وهي الشبح الأعور..."²¹ فالحايك في رواية بوابة الذكريات تجلّى بصفته مصدراً للسخرية لا بوصفه رمزاً دينياً إسلامياً مميزاً للمرأة المسلمة.

تبدو الكتابة في هذه النصوص الروائية آلية لانتهاك المحذور الديني بكل تجلياته، حيث حطّمت من خلال شخصياتها وأفعالهم وحواراتهم، وحين ننظر إلى غالب هذا الانتهاك يتبين لنا أنه انتهاك فضائحي لافت، وفي بعض الأحيان يكون مستغفرا للوعي الجمعي، خاصة في أعمال رشيد بوجدرة الروائية وأمين الزاوي الذي سوف نتعرض لروايته عطر الخطيئة التي عملت على اختراق قدسية الدين وتعاليمه بلغة جريئة مستغفرا حاولت من خلال هذه النافذة الطابوية أن تحقق رواجاً بعيداً عن تحقيق الجمالية السردية، حيث يصبح اختراق قدسية الدين والجنس المحرم من أهم المفاهيم المهيمنة في هذا العمل الروائي، وهما المحرك الأساسي لأحداث الرواية، وهذا الاختراق لا تنحصر تجلياته في مسائل الاعتقاد بوحدانية الله تعالى، بل يشمل الطقوس والمعاملات المتصلة بالدين وترسباتها في اللاوعي.

تجليات المحذور الديني في رواية عطر الخطيئة:

يعتبر الدين جزءاً أساسياً من اللاشعور الفردي والجمعي، ويتعدى كونه مكوناً ثقافياً ليصبح عنصراً أساسياً من عناصر الهوية، ولهذا من الصعب على الإنسان العيش خارج الدين وخارج المقدس الذي يعد "إحدى مقولات الإحساس، بل هو في الحقيقة المقولة التي يبنى عليها السلوك الديني، تلك التي تمنحه خاصته النوعية، وتفرض على المؤمن شعوراً مميزاً بالاحترام، يحصن إيمانه ضد روح النقد، كما تجعله بمنأى عن الجدل العقيم بوضعها إياه خارج نطاق العقل وما وراءه، إنه الفكرة التي يتمحور حولها الدين.. الدين هو تدبير المقدس"²² ولا شك أن الدين كمقدس يحايثه التدنيس والاختراق عادة في المتون الروائية، وهذا التدنيس هو ما لاحظناه في أعمال أمين الزاوي الروائية، حيث يلج عوالم المحذور من خلال اختراقه لقدسية الدين وتدنيس معالمة، فلم يترك مقدساً إلا ودنسه، ولا محظوراً إلا وخرقه، ولا خطاً أحمر إلا وتجاوزه، حاملاً بذلك لواء الرفض، رفض الثوابت، والبحث المستمر عن آفاق جديدة للعمل الفني، والتجاوز لما هو قائم، والثورة على القيود والتقاليد، فالقارئ لأعماله الإبداعية يجدها خطاباً يكشف عن الممارسات التي تُعد من المحرم الحديث عنها، خاصة في المجتمعات العربية الإسلامية المحافظة، فقد أحدثت هذه الأعمال خلخلة في الثابت والمألوف، وزعزعت اليقينيات والمسلمات، فصار فعل الكتابة عنده (الزاوي) "اختراقاً لا تقليداً، واستشكالا لا مطابقة، وإثارة للسؤال لا تقديماً للأجوبة"²³ ولا شك أن كل أعماله الروائية تدور حول المسائل المتعلقة بالدين، فلم يتوقف الأمر عند هذا الحد وإنما تجاوز ذلك إلى خرق المحذور الديني، ووصف الدين الإسلامي بالتطرف والغلو، والنظر إليه نظرة فيها نوع من العدائية في بعض الأحيان، فانطلاقاً من هذه الرؤية اقتحم الزاوي عوالم المحذور الديني في روايته عطر الخطيئة التي تعد خطاباً متمرداً على الدين والعرف في الثقافة الجزائرية الإسلامية، فقد تجلّى اختراقه في هذه الرواية وارتكز على عدة مستويات رئيسية شكلت هدمه لها هاجساً واضحاً، نذكر أهمّها:

1- تدنيس المعتقد الديني الإسلامي:

المعتقد هو أساس الدين وهو العماد الذي يبنى عليه، فهو تلك القضايا المسلمة بالعقل التي يعقد عليها الإنسان قلبه ويثني صدره جازماً بصحتها وبوجودها كالاعتقاد بوحدانية الخالق، فالمعتقدات الدينية هي مصداقات سلمت بها النفوس فلا تحتاج إلى جدل أو مناقشة، وما يهمنا في هذا المقام هي المعتقدات الدينية الإسلامية التي تتخذ من القرآن

والسنة النبوية منهاجا لها، غير أن هذه المعتقدات قد يتم تدنيسها وتحريفها وانتهاك قدسيّتها بقصد أو بغير قصد، فقد يتم تحريفها نتيجة الفهم الخاطئ لها أو الإفتاء بغير علم كتحرّيم ما حلل الله، أو إحلال ما حرّم، أو نتيجة القيام بسلوكات أو ممارسات لا تمت للإسلام بصلة، فحين نقرأ رواية عطر الخطيئة نجدها تحفل بالمعتقدات التي ليست من الدين الإسلامي في شيء أهمها دفن الميت الملقح في مقبرة المسلمين، وهو صيني جاء إلى الجزائر مع ثلاثة آلاف آخرين من العمال لكي يقوموا ببناء فندق كبير من سلسلة "الشيراتون" فقتل في حادث، حيث يقول الراوي: "بعد إجراء تحقيق روتيني وتشريح طبي للجثة أعطت السلطات الضوء الأخضر لدفنه في تراب مسلم على أرض الإسلام، لكنها اكتشفت أن الفقيد لم يكن مسلما ولا مسيحيا ولا يهوديا.. لم يكن من أهل الذمة.. لم يكن كتابيا.. لقد كان ملحدا"²⁴ لقد تم دفنه في مقبرة المسلمين بعد أن رفضت ألف وخمسمائة وواحدة وأربعون بلدية أن تدفن جثته في أرض الإسلام، لأنها تدرك جيدا أن هذا الفعل لا يجوز في الدين الإسلامي، ولكن بتواطؤ بين حارس المقبرة ورئيس البلدية تمت الموافقة على دفنه إلى جانب المسلمين بعد أن أخذ حارس المقبرة رشوة من رئيس البلدية، "عادت السكرتيرة هذه المرة وفي يدها قبضة من الأوراق النقدية من فئة الألف دينار، وأخرى أقل من الأولى من العملة الفرنسية ووضعت ما كان بيدها أمام المسئول الكبير، بحقّة مدّي الرجل يده بالنقد وأضاف: إليك كل ما يلزم"²⁵ فحين تعلق الأمر بالمال تم تحريف المعتقد الديني الإسلامي الذي كان واضحا في قضية دفن غير المسلم في مقابر المسلمين منذ عهد النبي عليه الصلاة والسلام أين كانوا يفرقون بين مقابر المسلمين ومقابر المشركين، فالمذاهب الفقهية الإسلامية متفقة على أن غير المسلمين لا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين، وكذلك لا تجوز صلاة الجنازة على جثامينهم، ولا يجوز إدخالها إلى المساجد أصلا، لأن المقابر الإسلامية هي أرض وقفية محبسة على دفن الموتى المسلمين لا غير، حيث يقول ابن حزم: "فصح بهذا تفريق قبور المسلمين عن قبور المشركين"²⁶ فالأمر لم يتوقف في الدفن فقط وإنما تجاوز ذلك إلى الصلاة عليه وتغسيله على طريقة الإسلام وقراءة القرآن عليه، حيث يقول الراوي: "أنزلت الجثة في مسجد القرية. لم تمض دقائق حتى ارتفع صوت الواحد والعشرين مقرئا يرتلون كلام الله. قمت بغسل الجثة غسلا شرعيا وفق شريعة الإسلام.. بعد صلاة المغرب صلّيت عليه صلاة الجنازة ودفن"²⁷ لقد تم التعامل مع هذا الصيني الملقح على طريقة الإسلام لأن إرسال جثته إلى الصين قد يحدث مشكلة دبلوماسية وسياسية خطيرة بين البلدين، فتم تدنيس المعتقد الديني وتحريفه تجنباً لدخول البلاد في أزمة، حيث يقول الراوي: "ودون إبطاء توجهت إليّ بقوله: نحن مرتبكون...منزعجون أمام مشكلة خطيرة، مشكلة دبلوماسية وسياسية من شأنها أن تخلق أزمة في البلاد"²⁸ وبالرغم من أن القرآن كان واضحا في تحرّيم الصلاة على الكفار في قوله تعالى: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ)²⁹.

وفي موقف آخر يتم تدنيس المعتقد الديني الإسلامي فيتعلق الأمر في هذا المقام بصورة المرأة في الإسلام، حيث جاء على لسان الفقيه: "تعليم المرأة هو إفساد للدين، البنت حالما تصير ناضجة يجب تزويجها بأسرع ما يمكن لأن الشيطان يترصدها خلف كل دغل أو منعطف، خلق الله المرأة لمتعة الرجل، لتخدمه وتنتج الجنس البشري.. لا يمكن لها أن توجد إلا لخدمة الرجل.. وبه.. إما أن تسعد وتمتع فهي المدللة أو تنفر وتزعج فليس لها إلا العبودية القاسية. يجب أن تكون جميلة حتى تكون محبوبة هذه هي السعادة الحقيقية للمرأة المسلمة."³⁰ كانت هذه آراء الفقيه عن

المرأة بالرغم من أن القرآن قد نص على مكانتها في الإسلام في العديد من نصوصه، فلا يوجد أي نص قرآني أو حديث يقول إن المرأة خلقت لمتعة الرجل أو حتم دورها في تكوين جنين الإنسان بوصفها مجرد ظرف لنطفة الرجل، فأراء الفقيه عن المرأة كلها محض افتراء ولا تمت للمعتقد الديني الإسلامي بصلة، فعلى العكس من ذلك، كرم الإسلام المرأة وأعطاهها كامل حقوقها، فأُنصفت إنصافاً عظيماً لم تكن تحلم به في غيره من العصور وفي كل الحضارات وفي معظم الديانات الأخرى. كما يشير هذا المشهد أيضاً إلى مسألة الفتوى بغير علم، فهي منكر عظيم، حرمه الله، وجعل مرتبته فوق الشرك، فهكذا تم تدنيس المعتقدات الدينية الإسلامية في هذا النص الروائي وتحريفها عما جاء به النص القرآني، وهذا الفعل محذور دينياً، لأنه يخترق أصول الدين وتعاليمه بل ويأتي بمعتقدات لا تمت للإسلام بصلة.

2- تدنيس المكان المقدس:

يتسع مفهوم المقدس في القرآن الكريم، فيشمل الله وملائكته والأرض بتفاصيلها، ليحمل معنى الطهارة من كل الأدناس، فالمقدس هو صفة كل ما له صلة بالدين والسمائي، والشيء المقدس هو الذي يسمو في صفاته إلى العالي ويجب احترامه، وهو نقيض الدنيوي، أو هو ما يرتبط بالدين ورموزه وتعبيراته، وقد يكون مقابل الطبيعي أو اليومي أو العادي أو الرجس أو المدنس. والمقدس لا يمكنه أن يرتبط بالأشياء والأشخاص فقط، وإنما يمتد ليشمل الأمكنة والأزمنة التي تحمل طابع التقديس، بمعنى أن المقدس في المعتقد الديني قد يكون مكاناً وزماناً وأشخاصاً، فالمكان المقدس يشكل فضاء تتجسد فيه ممارسات الإنسان العقائدية والطقوسية التي تشكل بدورها تجربته الدينية، "فكل مكان كان فيه تجل للاله يصبح مقدساً؛ لأنه يقطع الاستمرارية في المكان، وينهي ذلك الوجود الدنيوي ويقيم مكاناً آخر ينطوي على سمات مقدسة"³¹ وتمثل المقابر والمساجد والكتاتيب إحدى هذه الأمكنة التي أخذت طابع التقديس من خلال وظيفتها التي تربط العالم الدنيوي بالسمائي.

أ- تدنيس المقبرة:

المقابر هي ديار الموتى ومنازلهم، وعليها تنزل الرحمة من ربهم والفضل على محسنهم، فهي منازل المرحومين، فإكرام هذه المنازل واحترامها من تمام محاسن الشريعة كما هو ظاهر³²، في حين، تحضر المقبرة في رواية عطر الخطيئة بشكل لافت للنظر، فهي ليست مجرد فضاء خاو من الدلالة ولكنها تأتي لتشكيل معمارية البناء الدلالي للنص، وتصنع درامية المشهد الروائي في قمة تناقضاته، فقد صارت وكراً لممارسة الجنس وشرب الخمر وممارسة العادة السرية، فعوض أن يدخل بطل الرواية المقبرة للوقوف على قبر والديه المدفونين جنباً إلى جنب للترحم عليهما والدعاء لهما بالمغفرة، نجده يقوم بممارسة الجنس مع زوجة حارس المقبرة، حيث يقول: "كنت أشم عطر المرأة ورائحة الأنثى.. نزعتم المرأة ملابسها بسرعة.. لاحظت أن لها تهدين في بياض الثلج بملمتين ورديتين.. تأملت شعر عانتها، انهارت قواي!.. أجلستها على ركبتين.. ما بين القبرين -قبر والدي- مارسنا الجنس"³³ يحدث هذا بين قبري الوالدين، فقد تحول هذا المكان المقدس من موضع للخشوع والموعظة بالموت والحزن، إلى مكان لإشباع الشهوات الجنسية، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل اجتاز ذلك إلى شرب الخمر وتدخين الحشيش، حيث يقول: "بين قبر والدي أخرجت رغيفي الملطخ المزيث الذي

كنت حملته ملفوفا تحت إبطي الأيمن في صحيفة مكتوبة بالعربية.. في سرية ودفعة واحدة شربت قنينة البيرة الدافئة الندية برغوثها"³⁴ فالخمر - كما هو معلوم - من الأمور المحرمة والمحظورة في الديانة الإسلامية، وقد ثبت تحريمه بالقرآن الكريم كما ثبت بالسنة النبوية وانعقد عليه إجماع علماء الأمة، وقد حُصر أمره في أنه رجس من عمل الشيطان، يحرم استهلاكه حتى في الأماكن المدنسة، فما بالك بالأماكن المقدسة كالمقبرة. في حين كان حارس المقبرة (وزارة الدفاع) يدخل الحشيش في مقبرة المسلمين، حيث يقول الراوي: "أسكن وزارة الدفاع زوجاته الثلاث في المقابر الثلاث. بنى في كل مقبرة كوخا يعيش فيه مع إحدى زوجاته، وله في كل مقبرة شرابه المفضل: في مقبرة المسلمين يتناول وزارة الدفاع الشاي ويدخن الحشيش..."³⁵ لقد حوّلت شخصيات الرواية المقبرة من طابع القداسة إلى طابع الإزدراء، ومن الخير إلى الشر، ومن مبعث للذكريات الحزينة إلى مكان لشرب الخمر وتدخين الحشيش، فهي تتعامل مع كل المحظورات والمحرمات وكأنها مباحات. ولم ينته الأمر عند ممارسة الجنس وشرب الخمر والمسكرات، وإنما تجاوز ذلك إلى ممارسة العادة السرية أيضا داخل المقبرة، حيث كانت زوجة الأب سارة تقضي لياليها تمارس العادة السرية عند قبر زوجها منذ اليوم الذي دُفن فيه، "بل أنا متأكد من أن لسارة طلعتها الليلية. من يوم الدفن تقضي لياليها ممددة على قبر أبي.. وعندما يرتفع صوت المؤذن يهدد الظلام كانت تمارس العادة السرية على تربة قبره ثم تعود إلى غرفتها.." ³⁶ انتهكت سارة حرمة القبور وحرمة آذان الفجر دون أي حرج، فأضحت المقبرة مكانا للزيلة، فكونها فقدت رهبتها وقديستها، فهذا شيء يحيلنا إلى انحطاط النفس البشرية، فيتحول المكان المقدس إلى مكان مدنس، يقصده المنحرفون والشواذ، دون أي احترام للأموات.

ب- تدنيس المدرسة القرآنية:

تعد المدارس القرآنية من بين الأماكن التي أخذت طابع التقديس في الثقافة العربية الإسلامية، كونها مؤسسات تعليمية تسعى إلى تعليم الأطفال تعاليم الدين الإسلامي وتحفيظهم القرآن الكريم في سن مبكرة، فهي تحمل الكثير من القيم الدينية، غير أن هذا المكان المقدس تحول في رواية عطر الخطيئة من مكان للتعليم، إلى مكان لممارسة زنا المحارم بين الأخ وأخته، حيث يقول الراوي: "زملأونا في المدرسة القرآنية هذه كانوا قد خرجوا، لقد حلت ساعة القيلولة. لقد غادر الجميع هذه القاعة الصغيرة.. كانت النار تتأجج في داخلي.. قبلتها. كنت أرتعش، وبجراحة قبلتني آية على خذي الأيمن.. اكتشفت لأول مرة أن لآية نهدين منتصبين.. صدر فاتن.. تركتني آية أفعل ما أفعل دون أي رفض. اندلعت النار في داخلي، شرعت آية في فك ملابسها ونزعها.. قفزت فوقها، انتصب عضوي التناسلي وهو يلامس بطنها الرهيف.. وضعت كف يدي اليمنى المرتعشة على فرجها.. تركتني أديرها وأقلبها وأعضها وأعبت بأعضائها.. فضضت بكارتها"³⁷ فانطلاقا من هذا المقطع نلتمس اختراق حرمة هذا المكان الذي أغتصبت قدسيته، ودُنست معالمه وهويته الأصلية، بفعل ما قامت به الشخصيتان اللتان راحا يعيثان فيه فسادا، فانتهكتنا حرمة المكان الذي يُعنى بتدريس وتحفيظ القرآن وتعاليم الدين الإسلامي، فيتحول إلى وكر لممارسة أكبر الكبائر (زنا المحارم) دون أي خجل أو حياء، فالزاوي خاض غمار هذه العلاقة الجنسية في هذا المكان المقدس بهذه الطريقة انطلاقا من فكرة العالم بالمقلوب التي جاء بها باختين، حيث يقول: "إن المحاكاة بصورة ساخرة تعني تكوين ازدواج مفضوح، إنها ذلك العالم بالمقلوب"³⁸ فالعالم

بالمقلوب حسب باختين هو تصوير للحياة الكرنفالية التي تسقط فيها جميع الأسس، فتلغى القواعد والأخلاق وكل ما يتعلق بالاحترام، فتُخترق جميع الآداب والمخطوطات، وتنقلب جميع الثوابت والمعايير المتعارف عليها في المجتمع، ويصبح كل محرّم مشروع.

ج-تدنيس المسجد:

تعد المساجد من الفضاءات العامة التي يقصدها الناس لممارسة طقوس العبادة من صلاة وذكر لله سبحانه وتعالى، فهو يمثل رمزا من الرموز الإسلامية التي لها حضور بارز في التاريخ الإسلامي، ويعد قبلة للعديد من الدارسين والطلبة ممن يرغبون في تحسين مستواهم الفكري والديني، غير أن هذا الفضاء المقدس والظاهر صار في رواية عطر الخطيئة فضاء مدنسا تُمارس فيه العادة السرية، حيث يقول الراوي: "كنت أشاهد المشهد وعضوي التناسلي منتصب بين فخذتي، فجأة تصاعدت إلى رأسي شعلة وارتعدت ركبتي. راعشا مرتعدا هبطت عدوا الأزقة المبلطة الظليلة الباردة صوب مراحض مسجد الحي العتيق. كنت أمارس العادة السرية"³⁹ لقد خرج هذا الفضاء المقدس الذي كان رمزا للتعبّد عن وظيفته الرئيسية، ليصبح فضاء للفسق، فانحرف عن دوره العقدي، ونشاطه الدعوي وقيّمته المقدسة، فصار وكرا لممارسة العادة السرية وهي عادة مدنسة، لأن فيها إثارة للجسد بطرق غير طبيعية، وقد أشار إليها فرويد على أنها فيتشية "أي نمط من الإشباع الغريب بالقياس إلى سلوك الأسوياء، فيمكن الذات أن تبدل الاتصال الجنسي بشيء آخر يعطيها اللذة"⁴⁰ فهي سلوك غير سوي فما بالك إذا مورس داخل المسجد، فقد عمل الزاوي على اختراق الصورة المقدسة لهذا المكان وراح يكرس له صورة مناقضة تربطه بالشهوة والغريزة، حيث تبين لنا أن الكاتب قد حاول جاهدا كذب وتخطيم تعاليم الدين وذلك عبر ما جاء في هذا النص الروائي من استهتار وتدنيس للأماكن المقدسة، فهكذا انتهكت المقدسات الدينية وصار المقدس منبعاً للدنس والقذارة بعدما كان منبعاً للطهارة والسمو الروحي. وبالتالي ينتصر المدنس على المقدس من خلال الفضاء المسجدي الذي صار يعجّ بالمتناقضات والردائل.

3- العلاقات الجنسية المحرّمة:

لقد شهدت الرواية الجزائرية المعاصرة انفتاحا هائلا "أفضى إلى شيوع الجسانيات التي أسهمت في إنتاج خطابات تعلن ما كان مستترا، وتسفر عما كان محجوبا، وتبيح ما كان محظورا"⁴¹. ولاشك أن رواية عطر الخطيئة من بين الأعمال الروائية التي كسرت كل الحواجز واخترقت كل القيود الدينية والأخلاقية، واستعانت بكومة من الأجساد العارية لبناء مكوّن السرد، فكان الجنس هو المحرك الأساسي للأحداث، وعليه يمكن إدراج هذا العمل الروائي فيما يعرف "بالأدب المكشوف، أو أدب الفراش، أو الأدب الصريح... وغيرها من أسماء فرضت نفسها على نوع من الكتابة، هي الكتابة عن الجنس"⁴² غير أن ما يهمنا في هذا المقام هي تلك العلاقات الجنسية المحرّمة والتي تكون خارج إطار الزواج، فهي ليست علاقات في حدود العاطفة والحب، بل هي علاقات في مستوى الغرائز وتأجج الجنس لا غير، فالراوي وقع في المحذور بسبب الجسد الأنثوي على وجه الخصوص، أو بسبب طلب اللذة الجنسية العابرة بثمر وبغير ثمن،

فلم يجد طريقا لإشباع غرائزه سوى عبر الجنس المحرم بدءا بالعلاقة الجنسية التي جمعتها مع زوجة حارس المقبرة (وزير الدفاع)، حيث يسرد لنا ذلك قائلا: "النار ! الطوفان! كان جسد المرأة تحت يدي ينتعش ويرتعش والنهد تحت أصابعي جمر ... ضوء...أخذت المرأة تفك أزرار سروالي في جراحة وجساسة..مارسنا الجنس"⁴³ فالغريزة الجنسية من أقوى الغرائز وأعماقها، وإذا لم تكن ثمة ما يشبع هذه الغريزة فقد ينتهي المطاف في دائرة المحظورات وإشباعها خارج إطار الزواج، فالراوي يدرك جيدا أن هذا الفعل الذي قام به يعد محظورا دينيا وأخلاقيا خاصة وأنه حدث في المقبرة بين قبري والديه، هذا ما جعله يشعر بالندم والحسرة حيث يقول: "بعد ممارستنا الجنس انتابني شعور بالعار.. رغبت في الاختفاء.. في التبخر.. لم أستطع أن أعاود النظر إلى القبرين.. غادرت المكان مثقلا بهم يأكلني الندم.. أحس أنني جلبت العار لوالدي وأن الأموات النائمين في هذه المقبرة يرونني ويبصقون علي"⁴⁴ لذلك يبقى الزواج هو المخلص الوحيد من هذا كله، لأنه السبيل المشروع لإشباع هذه الغريزة وإروائها، فيه تسكن النفس ويهدأ البدن من الاضطراب ويكف عن النظر والتطلع إلى الحرام والمحظور.

وتركز رواية عطر الخطيئة على موضوع زنا المحارم بجرأة كبيرة، حيث جعلت أحداثها تدور حول فكرة أن العمل الروائي لا بد أن يتمرد على السائد والمألوف ويخترق المحظور الديني والعرف الاجتماعي، فنجد الراوي في العديد من المواقف، وبلغة جريئة، يسرد لنا العلاقة الجنسية التي دارت بينه وبين أخته آية حيث يقول: "في ذلك اليوم أودعت عضوي التناسلي الصغير المنتفخ المنتصب عاليا بين أصابع يديها البيضاء بيض الشمع..دلكته لي بعناية وهي تبلل أصابعها بالريق الذي كان يسيل بغزارة من فمها. ثم بدأت تحك بعنف. كنت أصرخ.. أرتعش.. استمنيت لأول مرة.. في ذلك اليوم.. اليوم الذي أحسست فيه بألم أول ممارسة لي للعادة السرية، كانت أختي هنا إلى جانبي تدعمني وتدلك لي ركبتي.. وتضغط على قفائي.. أفرغت مني في كف يدها اليسرى"⁴⁵ ويتابع الراوي سرده لتلك العلاقة الجنسية بكل جرأة حيث يقول: "بحثت عن فرج آية الصغير ورحت أحكه بشدة. آية مازالت بين أحضاني. لقد كان فرجها لبقا لزجا. ولأول مرة تناولت آية عضوي التناسلي في فمها الصغير.. ثم رحت أحس فرج آية وأدخل فيه لساني وهي تتلوى.. كان ساخنا..لاهبا"⁴⁶ لاشك أن توظيف هذه المشاهد الجنسية -بهذه الجرأة- غاية مقصودة من قبل الكاتب، فقد كانت هذه المواضيع قديما ممنوعة خاصة حين يتعرض لها الكاتب بلغة صريحة، وإذا وُظفت تيممة الجنس فإنها توظف بطريقة تلميحية، غير أن الزاوي في هذا النص الروائي تجاوز حدود المألوف، واخترق الدين والعرف الاجتماعي، فمس موضوع الجنس تلك العوالم المحرمة والمتمثلة في زنا المحارم الذي يعد محظورا في كل الديانات، فاخترق المحظور الديني عنده (الزاوي) لا يقف عند حدود انتقاد بعض الممارسات الدينية، بل أصبح استنطاقا للأمر المحرم والمسكوت عنها، فالملقطع يصف لنا العلاقة الجنسية بين الأخ وأخته بأدق تفاصيلها، دون أن يترك مجالا للقارئ لتفعيل خياله، فلاشك أن أبشع الزنا على الإطلاق الزنا بالمحارم، حيث "اعتبرت البشرية منذ القدم نكاح المحارم مطلقا أمرا يثير أقصى درجات الإشمئزاز والمساءة في أي صورة من صورها"⁴⁷ فقد يتفاجأ قارئ هذه الرواية نتيجة هذا الكم الهائل من المشاهد الجنسية التي اختصرت كل أحداث الرواية في مجرد نزوات جنسية وصلت لحد الشذوذ والانحراف الجنسي، فالراوي وأخته تجاوزا العلاقة الإنسانية الإسلامية نحو الحدود القصوى للممارسة الجنسية المحرمة، فيبدو لهم الأمر عاديا وليس منافيا للدين والأخلاق والعرف الاجتماعي، ودون الإحساس بالذنب أو الشعور بالإثم، فالراوي من خلال

هاذين المقطعين اخترق المحذور وتلذذ به بالرغم من أنه يدرك جيدا أن فعله ممنوع وحكيه أيضا كذلك، لكن يبدو أن لذته التي وجدها في المكان الخطأ قد دفعته للتصريح بذلك بشكل مباشر، دون الاهتمام بالعواقب التي قد تنجر عن هذه اللغة المستبحة للغة الدين.

كما يدخلنا الزاوي عبر شخصيات روايته إلى عالم السحاق الذي يعد من العلاقات الجنسية المحظورة في الإسلام والمخالفة للفطرة الإنسانية، "فكما أن الزواج يقي الرجال من التورط في الزنا والشذوذ الجنسي، فكذلك أنه أيضا يقي النساء من الفاشحة والشذوذ والمساحقة، فإنها في النساء قسيمة اللواط في الرجال وهما من أكبر الجرائم، وكلتا الجريمتين ابتدعتا في وقت واحد ومكان واحد وأهل قرية واحدة وهم قوم لوط، فكما يسمى اللواط في اصطلاح اليوم الشذوذ الجنسي يسمى قسيمة السحق بالجنس الآخر"⁴⁸، حيث يتجلى السحاق في رواية عطر الخطيئة عبر نساء المدينة السحاقيات اللواتي كن يجتمعن في زمن القيلولة في دار تدعى دار القايد، وكن يتبادلن احتكاك الأجساد بعد أن يدهنّها بزيت الزيتون، يقول الراوي: "تستمر القيلولة وتطول حتى وصول ظل شجرة السدرة الكبيرة إلى أسفل جدار الساحة الدائرية، ولم يكن يسمع غير غنج النسوة وتنهدهن وهن ساجحات في لذتهن وشهوتهن.. محلقات في نشوتهن.. في ساعات القيلولة عندما يفترس الحر المدينة في شهر يوليو وفي شهر أغسطس، تجتمع نساء سحاقيات في دار تدعى دار القايد فتصاعد شهقاتهن إلى السماء..⁴⁹ فلاشك أن أغلب شخصيات هذه الرواية من أصحاب التجارب في عالم النساء، أو من الشواذ والمنحرفين جنسيا، فلا يمكن إنكار وجود مثل هذه الظواهر الشادة على أرض الواقع، وأن من حق الروائي تصويرها في أعماله مادامت تمثل مظهرا من المظاهر الاجتماعية الواقعية التي يحق للروائي التعبير عنها، لكن شيوعها والمبالغة في التعبير عنها على هذا النحو الكبير يدفعنا إلى تصورها وكأنها ظاهرة اجتماعية كبيرة، فلا ينبغي أن يصل الأمر في التعبير عنها إلى هذه الدرجة من الإسفاف والمبالغة، لأن ثمة محظورات لا ينبغي تجاوزها على الأخص عندما تكون المسافة قريبة للغاية والخطوط متداخلة جدًا بين حرية الإبداع والتحريض على الرذيلة، أو النيل من المقدس الدين، وعليه "يمكن القول من دون جنوح إلى الرغبة في تضخيم الموقف إن أزمة الإيمان غير منفصلة عن أزمة الضمير التي تعصف بالاجتمعات المعاصرة، مما لا يمنع بحال من التنويه بالقاعدة المعروفة القائلة بأن المجتمع المتوازن يفرز علاقات جنسية متوازنة وليس العكس"⁵⁰

خاتمة:

وفي الختام تُوج هذا البحث بإعطاء نظرة موجزة عن المحذور الديني الذي تظهر وبدا أكثر وضوحا في رواية عطر الخطيئة لأمين الزاوي التي كانت أنموذجا لهذه الدراسة، حيث يمكن القول إن هذا النص الروائي قام باختراق المحذور الديني فأسس لقيم اجتماعية جديدة تختلف عن السائد والمألوف، وذلك من خلال التمرد والثورة على الدين وتعاليمه المقدسة، فالزاوي حاول جاهدا قذف وتحطيم المقدس الإسلامي وذلك عبر ما جاء في روايته من سخرية واستهتار بكل ما يتم للدين بصله، محاولا كسر أسسه واقفا ضد عادات وتقاليد وأعراف المجتمع الجزائري المسلم، مركزا على فكرة تشويه صورة الدين في مخيال المتلقي ونظرته المدنسة للمقدس وكل ما يحيط به، فحتى وإن كان يهدف إلى معالجة قضايا حقيقة يعاني منها بعض شباب عصرنا وهي عدم إعطاء الدين أي أهمية في حياتهم، فإنه يعاب عليه أنه في غمرة تناوله لهذه القضية

أبدى الرؤى المدنسة للدين وبلغة حادة وجريئة ومفعمة بالوضوح والتصريح، فهو لم يقدم رؤى مناقضة تدعم المسار التصحيحي، أو تنتصر لتقديس الدين، فعلى العكس من ذلك كان يتكلم بمنطق الذي لا يخاف ولا يخشى أي سلطة اجتماعية كانت أو سياسية أو أخلاقية أو دينية، فالتدليس الذي قام به الزاوي في نصوصه الروائية وبالأخص رواية عطر الخطيئة، قد تمظهر في اختراق المحذور الديني ومقدساته، حيث رأينا أن هذه التمظهرات تتعالق فيما بينها ويدعم كل منها الآخر، فهي لا تتأسس كمقاطع بل كمنظومات فكرية تتكئ جميعها على مسلمات تتخذ لشكل المقدس الديني صورة سيئة، فلم يكن بذلك عبثا أن نرى الزاوي يقوم بمحك هذه المقدسات وتقويضها وهدمها في محاولة للتعبير عن رفضه كلية لهذه المنظومات

الهوامش:

- 1- بوزيان بغلول، الرواية الجزائرية الجديدة متى؟ لماذا؟ وكيف؟ -قراءة من منظور النقد الثقافي-، ط1، الكترونية، ديسمبر 2020، الجزائر، ص12
- 2- بوعلي ياسين، الثالث المحرم دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط2، ص10
- 3- فريد الزاهي، الصورة والآخر، رمانات الجسد واللغة والاختلاف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، ط1، 2014، ص20
- 4- محمد أبو حمراء، بنات الرياض العمل الضجة، المجلة الثقافية، نشر على الموقع: <http://www.al-jazirah.com/culture/21112005/aguas8.htm> بتاريخ: 21 نوفمبر 2005 تاريخ التحميل: 13 أوت 2022 على الساعة: 14:50
- 5- ابتسام بوطي، صورة رجل الدين في النصوص الروائية المكتوبة بالفرنسية لدى رشيد بوجدر، مجلة العلوم الإنسانية، عدد50، ديسمبر 2018، المجلد ب، ص.ص 91-101، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، ص92
- 6- الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تح: مهدي المخزومي وأبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، بيروت، 2008، ج3، ص197
- 7- الفيروزآبادي مجد الدين بن محمد: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005، ص377
- 8- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، ص918.
- 9- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم، القاهرة، دت، ص299
- 10- لمى فائق جميل، الكلام المحذور اللامساس Taboo، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 101، ص239
- 11- المرجع نفسه، ص239
- 12- المرجع نفسه، ص239
- 13- محمد محمود أبو حسين، اللامساس بين النظرة التاريخية والدواعي اللسانية، دار ناشري للنشر الالكتروني، نشر على الموقع: <http://www.nashiri.net/critiques-and-reviews/5983> بتاريخ: 12 يونيو 2016 تاريخ التحميل: 24 أوت 2022
- 14- رشيد بوجدر، الإنكار، تر: صالح القرمادي، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ط2، 2002، ص77

- 15-المصدر نفسه، ص 30
- 16-رشيد بوجدر، ألف وعام من الحنين، تر: مرزاق بقطاش، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 12
- 17-المصدر نفسه، ص 28
- 18-فضيلة الفاروق، مزاجراهقة، دارالفارابي للنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 2007، ص 12
- 19-المصدر نفسه، ص 18
- 20-آسيا جبار، بوابة الذكريات، تر: محمد يحياتن، طبعة موقان، سيديا للنشر، الجزائر العاصمة، الجزائر، دط، 2014، ص 191-192
- 21-المصدر نفسه، ص 198
- 22-روجيه كايوا: الإنسان والمقدس، تر: سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط 1، 2010، ص 3
- 23-إدوارد الخراط، الحساسية الجديدة، مقالات في الظاهرة القصصية، دارالآداب، بيروت، 1993، ص 11
- 24-أمين الزاوي، عطر الخطيئة، تر: محمد بوطغان، دار العين للنشر، القاهرة، مصر، ط 1، 2017، ص 13
- 25-المصدر نفسه، ص 16
- 26-عبد الله بن عمر بن محمد السحيباني، أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، ط 1، 2005، ص 232
- 27-المصدر نفسه، ص 17-18
- 28-المصدر نفسه، ص 15
- 29-سورة التوبة، الآية 84
- 30-أمين الزاوي، عطر الخطيئة، ص 82-83
- 31-عامر عبد زيد الوائلي، دراسة في مفهوم المكان المقدس مشهد الإمام علي عليه السلام انموذجا، مجلة العقيدة، العدد الثالث العشرون، شتاء 2022، ص 59
- 32-عبد الله بن عمر بن محمد السحيباني، أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية، ص 20
- 33-أمين الزاوي، عطر الخطيئة، ص 28-29
- 34-المصدر نفسه، ص 10
- 35-المصدر نفسه، ص 19
- 36-المصدر نفسه، ص 50
- 37-المصدر نفسه، ص 108-114
- 38-ميخائيل باختين، شعرية دوستوفسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، مر: حياة شرارة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 1، 1986، ص 186
- 39-أمين الزاوي، عطر الخطيئة، ص 139
- 40-محمد الجوة، مفهوم القمع عند فرويد وماركوز، دار الفرائي للنشر، بيروت، ط 1، 1994، ص 57

- 41- هيثم سرحان، خطاب الجنس، مقاربات في الأدب العربي القديم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010، ص75
- 42- عبد العاطي كيوان، أدب الجسد بين الفن والإسفاف دراسة في السرد النسائي، مركز الحضارة العربية، ط1، القاهرة، مصر، 2003، ص54
- 43- أمين الزاوي، عطر الخطيئة، ص29
- 44- المصدر نفسه، ص31-33
- 45- المصدر نفسه، ص136-137
- 46- المصدر نفسه، ص173-174
- 47- الخطيب العدناني، الزنا والشذوذ الجنسي في التاريخ العربي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 1999، ص15
- 48- المرجع نفسه، ص189
- 49- أمين الزاوي، عطر الخطيئة، ص147
- 50- عبد الوهاب بوحدية، الإسلام والجنس، تر: هالة العوري، رياض الرايس للكتب والنشر، بيروت، ط2، جانفي 2001، ص19